وفاة الرسول ﷺ

الرسول ﷺ يُجهز جيش أسامة:

ثُمَّ قَفَلَ الرسول ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرَّم وصفر، ثُمَّ أمَرَ الناسَ بالجهازِ إلى الشام، وأمَّر عليهم: أسَامة بن زيد بن حارثه - رضي الله عنهما - وأمَرَه أن يُوطئَ الخيل تُخُومَ البلقاء.

فطعَن نَاسٌ في إمارته لحداثَةِ سنِّه ولكَوْنِه مَولى، وقالوا: أمَّر غُلاماً على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار؟!

فلما بَلَغَه ﷺ ذلك - وكان المرض قد ابتدأ به ﷺ - خرج فحمد الله وأثنى عليه، وأمرهم بالجهاز وبطاعة من أمَّره عليهم.

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا - قَالَ:

«بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْد، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِه، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيه مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّه إِنْ كَانَ لخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»(١).

فأخذ الناس في جهّازهم، فثقُل ﷺ فأقاموا ينتظرون ما الله قاض في رسوله.

إشارات إلى اقتراب أجله ﷺ:

الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التي تشير إلى قُرب وقوعها، وقد تمَّ للمسلمين فتح مكة أُم القُرى في السنة الثامنة من الهجرة

---

(١) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٤٥١، كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩١٩، ٤١٠٩، كتاب الأحكام، حديث رقم ٦٦٥٠، مسلم - كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٤٥٢.

المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقرُّ بالإسلام أو تعطي الجزية عن يد وهم صاغرون، ودانت جزيرة العرب بالإسلام.

وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - فكلُّ العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجة بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فكان النبي ﷺ يعرض بقرب أجله، فمن ذلك:

* **نزول سورة النصر على رسول الله ﷺ:**

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «إن سورة النَّصْر هي آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت بعد سورة براءة، ولم تنزل بعدها سورةٌ أخرى»[(١)].

وقد تضافرت الأخبار أنَّ هذه السورة تشتمل على إيماءٍ إلى اقتراب أجَل رسول الله ﷺ:

ففي البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «هو أجلُ رسول الله ﷺ أعْلَمَهُ له قال: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ وَذَلِكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ» [(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ عاش بعد نزولها نحواً من ثلاثة أشهر».

وفي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟

(١) فتح الباري: ٨/٧٣٤.
(٢) البخاري - كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٥٨٨.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ»[1].

وعن مقاتل: لَمَّا نزلت قرأها النبي ﷺ على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وبكى العبَّاس، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك يا عَمّ؟ قال: نُعيت إليك نَفْسُك. فقال ﷺ: «إنَّه لَكَمَا قُلتَ».

وفى رواية: «نزلت في منى، فبكى عمر والعباس، فقيل لهما، فقالا: فيه نعىُ رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: صدقتما نُعيت إلىَّ نفسي».

* **ومن هذه العلامات:** ما رواه الإمام أحمدُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ:

لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاَ تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي.

فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا[2].

---

(١) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩٥٦.

(٢) أحمد - مسند الأنصار، حديث رقم ٢١٠٤٠.

* **ومنها:** ما رواه أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: «خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟!

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا....»(١).

* **ومنها قول عَائِشَةَ - رضي الله عنها -:**

«كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ رضي الله عنه يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ - وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ(٢): ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾(٣) فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ»(٤).

* **ومنها:** ما رواه البخاري عن أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه قال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ الْوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تَوَفَّاهُ، أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ»(٥).

قال الحافظ: «والسر في ذلك أن الوفود - بعد فتح مكة - كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك»(٦).

ابتداء مرضه ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ:

---

(١) البخاري - كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٤٦، المناقب، حديث رقم ٣٣٨١، ٣٦١٥، مسلم - كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٣٩٠.

(٢) البُحة: الخشونة والغلظة في الصوت.

(٣) النساء: ٦٩.

(٤) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم٤٠٨١، مسلم - كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٤٧٥.

(٥) البخاري - كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٤٥٩٩، مسلم - كتاب التفسير، حديث رقم ٥٣٣١.

(٦) فتح الباري: ٨/٩.

«رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ: وَا رَأْسَاهُ. فَقَالَ: بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكِ فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟ فَقُلْتُ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ. قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ»(١).

قال الحافظ - رحمه الله -:

«وذكر الخطابي أن مرضه ابتدأ يوم الاثنين، وقيل يوم السبت، وقال الحاكم أبو أحمد: يوم الأربعاء. واختلف في مدة مرضه ﷺ فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل: بزيادة يوم، وقيل: بنقصه. وقيل: عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين - بلا خلاف - من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعاً، وكان له ﷺ ثلاثة وستون عاماً)(٢).

اشتداد المرض برسول الله ﷺ:

كان ﷺ يُوعَك وَعْكًا شديداً(٣)، وكان يُدارُ به على نسائه، ثُمَّ استأذنهن أن يُمَرَّض في بيت عائشة، فأذِنَّ لَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها -:

«لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ الأَرْضَ، وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لابْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ: لِي وَهَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»(٤).

---

(١) الدارمي - المقدمة، حديث رقم ٨٠، سنن ابن ماجة - كتاب ما جاء في الجنائز، حديث رقم ١٤٥٤.
(٢) فتح الباري: ١٢٩/٨ .
(٣) الوَعْك: هو الحُمَّى، وقيل: ألَمُها.
(٤) البخاري - كتاب الأذان، حديث رقم ٦٢٥.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ:

«دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا.

قَالَ: أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ.

قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟

قَالَ: أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ. مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

وفى الصحيحين أنه ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ، فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ.

قَالَتْ عائشة - رضي الله عنها -: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ)(٢).

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

«ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.

قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ(٣) قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ

ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

---

(١) البخاري - كتاب المرضى، حديث رقم ٥٢١٥، ٥٢١٦، ٥٢٢٨، ٥٢٢٩، مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم ٤٦٦٣.

(٢) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٣٥٤، ٣٤٣٨، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٠٨٠، مسلم - كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٤٨٦.

(٣) الْمِخْضَبِ: إناء يُغتَسل فيه.

قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ. قَالَتْ: فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ

ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ.....[1].

مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس:

تقول عائشة: ثُمَّ أَفَاقَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ فَقُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِصَلاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ.

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا -: يَا عُمَرُ، صَلِّ بِالنَّاسِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ.

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لا يَتَأَخَّرَ. قَالَ: أَجْلَسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي، وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ»[2].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ أمر بأن يصلي أبو بكر بالناس، فراجعته في ذلك عائشة - رضي الله عنها - ثلاث مرات وهى تقول له:

---

(١) البخاري - كتاب الأذان، حديث رقم ٦٤٦، مسلم - كتاب الصلاة، حديث ٦٢٩.

(٢) البخاري - كتاب الأذان، حديث رقم ٦٤٦، مسلم - كتاب الصلاة، حديث ٦٢٩.

«إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. فَعَادَتْ، فَقَالَ: مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ (١)....»(٢).

إلى الرفيق الأعلى:

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:

«إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي(٣)، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ. ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»(٤).

وفي رواية: «فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى. فَقُلْتُ: إِذًا لا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ»(٥).

---

(١) قال العلماءُ: وَجْه المشابهة أنَّ عائشة أضمرت ما سبق من قولها: (... وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلاً قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا، وأظهرت أنه رجلٌ... إلخ)، فأشبهت امرأةَ العزيز التي استدعت النسوة، وأظهرت إكرامهنَّ بالضيافة، وأضمرت أن يعذرنها في شغفها بحُبِّ يوسف إذا رأينه، كما صرَّحت بذلك في قولها: ﴿**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**﴾ واللَّهُ أعلم.

(٢) البخاري - كتاب الأذان، حديث رقم ٦٣٧، ٦٤١، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٣٣، مسلم - كتاب الصلاة، حديث رقم ٦٣٣، ٦٣٨.

(٣) السَّحْرُ: أعلى الصَدر، والنَّحْر: موضع القلاَدَة من الصَّدْر.

(٤) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٤٠٩٤.

(٥) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٠٤، كتاب الدعوات، حديث رقم ٥٨٧٢، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٠٢٨

وروى البخاري عَنْ أَنَس قَالَ: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ - رضي الله عنها -: وَا كَرْبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ.

فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ.

فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - رضي الله عنها -: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟!»[١].

نظرة وداع أخيرة:

في الصحيحين عن أَنَس رضي الله عنه قَالَ:

«بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ

وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخُرُوجَ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، فَأَرْخَى السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[٢].

من وصايا النبي ﷺ في مرض موته:

* عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ»[٣].

* لما رأت الأنصارُ اشتداد وجع الرسول ﷺ أطافوا بالمسجد، فدخل العباسُ وأعْلَمَه بمكانهم وإشفاقهم.

---

(١) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٠٣.

(٢) البخاري - كتاب الأذان، حديث رقم ٧١٢، كتاب الجمعة، حديث رقم ١١٣٠، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٠٩٣.

(٣) ابن ماجة - كتاب ما جاء في الجنائز، حديث رقم ١٦١٤.

فخرج ﷺ متوكئاً على عليٍّ والفَضْل، وتقدَّم العباسُ أمامهم، والنبي ﷺ معصوبُ الرأس، يَخُطُّ برجليه، حتى جلس في أسفل مَرْقَاة من المنبر، وثار الناسُ إليه. فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

أيُّها الناس، بلغني أنكم تخافون من موت نبيِّكم، هل خُلِّدَ نبيٌّ قبلي - فيمَن بعث الله - فأُخَلَّد؟

ألا إني لاحقٌ بربي، وأنتم لاحقون بي..

فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً، وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿**وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[1].

وإن الأمور تجرى بإذن الله، فلا يحملنَّكم استبطاء أمْر على استعجاله، فإنَّ الله عز وجل لا يُعَجِّل بعجلة أحد، ومن غالبَ الله غَلَبَه، ومن خادع الله خَدَعه

﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[2].

وأُوصيكم بالأنصار خيراً، فإنَّهم الذين تَبَوَّأُوا الدار والإيمان من قبلكم، أن تُحسنوا إليهم.

ألَم يُشاطروكم في الثمار؟

ألَم يُوسِّعوا لكم في الديار؟

ألَم يُؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة؟

ألاَ فمَن وُلِّىَ أن يحكم بين رجلين، فليقبل من مُحسنهم، وليَتَجَاوَز عن مُسيئهم.

---

(١) سورة العصر.

(٢) محمد: ٢٢.

ألاَ ولا تستأثروا عليهم.

ألاَ وإني فَرَطٌ لكم، وأنتم لاحقون بي.

ألا فإنَّ موعدكم الحَوْض.

ألاَ فمَن أحبَّ أن يَرِدَه علىَّ غداً فَلْيَكْفُفْ يدَه ولسانَه إلاَّ فيما ينبغي.

* وعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهمَا - بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا

فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ - وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ - فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي[1] وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»[2].

* وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، ألا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ[3] أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[4].

* وعن عائشة وابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما - قَالا: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً[5] عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ

---

(١) كَرِشِي: أي بطانتي وموضع سري، وَعَيْبَتِي: أي خاصته وموضع النصح له.

(٢) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٥١٥.

(٣) قَمن: أي جدير وحقيق.

(٤) مسلم - كتاب الصلاة، حديث رقم ٧٣٨.

(٥) الخميصة: ثوب مخطط من حرير أو صوف.

وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»[١].

كيف تَلَقَّى المسلمون خبر موته ﷺ؟

روى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ[٢].... فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ، مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلاَّ ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ وقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا

ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ.

فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ.

وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣].

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٤].

قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ[٥] يَبْكُونَ)[٦].

---

(١) البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٩٥.
(٢) السُّنْح: إحدى محال المدينة.
(٣) الزمر: ٣٠.
(٤) آل عمران: ١٤٤.
(٥) نشج الناسُ: أي بكوا بصوت مرتفع.
(٦) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٣٩٤.

وفي رواية أخرى:

«قَالَ عمر: وَاللَّه لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلاَّ يَتْلُوهَا، ووَاللَّه مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاهَا فَعَقِرْتُ [١] حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ»[٢].

وأخرج الترمذي وابن ماجة في السنن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

«لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ الأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[٣].

وفي صحيح البخاري، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا - قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ»[٤].

تجهيز الجسد الشريف ودفنه:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللَّه مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللَّه ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إلا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ

---

(١) العَقَر: أن تُسْلِمَ الرجلَ قوائمه من الخوف، وقيل: هو أن يفجأه الرَّوْعُ ولا يستطيع أن يتقدَّمَ أو يتأخر.

(٢) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٤٠٧٩.

(٣) الترمذي - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٥٥١، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وابن ماجة - كتاب ما جاء في الجنائز، حديث رقم ١٦٢١.

(٤) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٦١٣.

فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إلا نِسَاؤُهُ» (١).

وعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا - قَالَتْ: «كُفِّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ سُحُولٍ كُرْسُفٍ(٢) لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ ولا عِمَامَةٌ»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: «جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ»(٤).

وفي البخاري: «فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - رضي الله عنها -: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟! »(٥).

رِثَاءُ أبي سفيان بن الحارث رسولَ الله ﷺ:

ذكر ابن الجوزي في [صفوة الصفوة] ترجمة أبي سفيان بن الحارث قال:

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن هاشم، واسمه المغيرة.

وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً، وكان تَرِبَ رسول الله ﷺ يألفهُ إلْفاً شديداً.

فلما بُعث رسولُ الله ﷺ عاداه وهَجَاه وهَجَا أصحابَه، وكان شاعراً.

فلمَّا كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام، فخرج متنكراً، فتصدَّى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه، فتحوَّل إلى الجانب الآخر، فأعرض عنه.

يقول أبو سفيان: فقلتُ: أنا مقتولٌ قبل أن أصل إليه. فأسْلَمْتُ، وخرجتُ معه حتى شهدت فتح مكة وحُنَيْناً، فلما لقينا العدةَ بحُنَيْن اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صَلْتاً، والله يعلم أنى أريدُ الموتُ دونه وهو ينظُرُ إلى.

---

(١) أبو داود - كتاب الجنائز، حديث رقم ٢٧٣٣.

(٢) السحول: نسبة إلى قرية باليمن، والكرسف هو القطن.

(٣) البخاري - كتاب الجنائز، حديث رقم ١١٩٢.

(٤) مسلم - كتاب الجنائز، حديث رقم ١٦٠٧.

(٥) البخاري - كتاب المغازي، حديث رقم ٤١٠٣.

فقال العباس: يا رسولَ الله أخوك وابن عمِّك أبو سفيان، فارْضَ عنه

فقال ﷺ: قد فعلت، فغفر الله له كُلَّ عداوة عادانيها.

ثُمَّ التفت إليَّ فقال: أخي لعمري. فَقَبَّلتُ رجلَه في الرِّكاب[١].

وعن أبى إسحاق قال:

لما حضر أبا سفيان بن الحارث الوفاةُ قال لأهله: «لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنطَّق بخطيئة منذ أسلمت»[٢].

قال أهلُ السِّيَر: مات أبو سفيان بعد أن استُخلف عمرُ بسَنَة وسبعة أشهر، ويقال: بل مات سنة عشرين، وصلى عليه عمرُ، ودُفن بالبقيع.

*****

رثَى أبو سفيان بن الحارث رسولَ الله ﷺ وهو ابن عمِّه، واسمه المغيرة بن الحارث، قال:

أَرِقتُ فَبَاتَ ليلى لا يَزُولُ ... وليلُ أخي المصيبة فيه طُولُ

وأسعدني البكاءُ وذَاكَ فيمَا ... أُصِيبَ المسلمون به قَليلُ

لقد عَظُمَت مصيبتُنَا وَجَلَّت ... عَشيَّة قيل قد قُبضَ الرسولُ

وأضحت أرضُنَا مما عَرَاهَا ... تكادُ بنا جَوَانبهُا تَميلُ

فَقَدْنا الوحَي والتنزيل فينا ... يَرُوح به ويَغدُ جبرئيلُ

وذاك أحقُّ ما سَالَتْ عليه ... نُفُوسُ الناس أو كادت تَسيلُ

نبيٌّ كان يجلو الشَّكَ عنَّا ... بما يُوحَى إليه وما يقُولُ

---

(١) صفوة الصفوة: ١/ ٥٢٠.

(٢) صفوة الصفوة: ١/ ٥٢٠.

ويهدينا فلا نخشى ضَلَالاً ... علينا والرسولُ لنا دليلُ

أفَاطِمُ إن جزعت فذاك عُذر ... وإن لم تجزعي ذَاكَ السبيلُ

فقبرُ أبيك سيِّدُ كلِّ قَبرٍ ... وفيهِ سيِّدُ الناسِ الرسولُ

*****

لقد استوقفني ما قاله أبو سفيان في رثاء الرسول ﷺ.

فَقَدْنا الوحَي والتنزيل فينا يَرُوح به ويَغدُ جبرَئيلُ.

وتذكرتُ ما رواه مسلم في فضائل أمِّ أيمن مولاة الرسول ﷺ فقد روى مسلم عن أنس ﷺ قال:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ

فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ.

فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا)[1].

فعجبت لهذه الخواطر التي تَستحضر - فيما تقول - قَدْر ما انقطع من السماء، فتقول أمُّ أيمن ما قالت وهى باكية، ويقول ابن عَمِّ الرسول ﷺ ما قال في رثائه، فقلتُ: أيُّ تقدير من هؤلاء جميعاً لِمَا أُنزل من السَّماء وحُفظ بحفظ الله؟!!

لقد عرفوا للوحي قَدْرَه فعَزَّ شأنُهم، وعَظُمَ قَدْرُهم، وتحقَّق نَصْرُهم.

---

(١) مسلم - فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٤٩٢.

رثاء أبي العتاهية رسولَ الله ﷺ:

ومما قاله أبو العتاهية[1] في رثاء رسول الله ﷺ:

لبيك رسـول الله من كان باكيا ... فلا تنس قبراً بالمدينة ثاويـاً

جزى الله عنا كل خير محمـدا ... فقد كان مهدياً وقد كان هـادياً

وكان رسـول الله روحاً ورحمـة ... ونوراً وبرهاناً من الله باديـاً

وكان رسـول الله بالخير آمـراً ... وكان عن الفحشاء والسوء ناهياً

وكان رسول الله بالقسط قائمـاً ... وكان لما اسـترعاه مولاه راعيـاً

وكان رسول الله يدعو إلى الهدى ... فلبى رسـول الله لبيه داعيـاً

أينسى أبر الناس بالناس كلهـم؟ ... وأكرمهـم بيتاً وشـعباً ووادياً

تكـدر من بعد النبي محمـد ... عليه سلام الله ما كان صافيـاً

ركنَّا إلـى الدنيا الدنيَّة بعـده ... وكشفت الأطماع منا مسـاويـاً

وكـم مـن منـار كان أوضـحه لنا ... ومن علم أمسى وأصبح عافيـاً

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقـى ... تقلب عرياناً وإن كان كاسـيـاً

وخير خصـال المرء طاعـة ربِّـه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيـاً

---

(١) هو أبو العتاهية: رأس الشعراء، الأديب الصالح، أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي، لُقِّبَ بـ (أبي العتاهية) لاضطراب فيه، سار شعره لجودته وحُسنه وعدم تقعره، وقال في المواعظ والزهد فأجاد، وكان أبو نواس يعظمه ويتأدب معه لدينه. توفي أبو العتاهية ببغداد في جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة ومئتين، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين، وله ثلاث وثمانون سنة أو نحوها.

زوجات الرسول ﷺ اللَّاتي تُوُفِّي عنهن:

تُوفِّي ﷺ عن تسع زوجات هنَّ:

١- عائشة بنت أبى بكر.

٢- حفصة بنت عمر.

٣- جُويريَةُ بنت الحَارثِ المُصطَلَقيَّةُ.

٤- أمُّ حَبِيبَةَ رَمَلَهُ بنت أبى سفيانَ الأموية.

٥- زينبُ بنت جَحشٍ الأسَدَيَّةُ.

٦- سودةُ بِنتُ زمعة العامريَّةُ.

٧- صفيةُ بنت حُيَيِّ بنِ أخطبَ النَّضريةُ الإسرائيليةُ الهارُونيَّةُ.

٨- ميمونَةُ بنتُ الحارثِ الهلاليةُ.

٩- أم سلمةَ هِندُ بنتُ أبى أميةَ المخزوميةُ.

رضي الله عنهُنَّ وعن سائر أصحابه أجمعين.

*****

obeikandl.com